مفهوم التسامح عند أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب عليه السلام

المدرس المساعد
فوزي خيري كاظم
جامعة واسط ـ كلية التربية

مفهوم التسامح عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

المدرس المساعد
فوزي خيري كاظم
جامعة واسط ـ كلية التربية

المقدمة:ـ

تعد حياة الإمام علي عليه السلام من أخصب موارد الفكر الإسلامي، وذلك لأهمية الفترة التي عاشها الإمام، حيث عاصر عهد البعثة النبوية - مرحلة التأسيس - ثم مرحلة الخلفاء الراشدين والتي امتدت لثلاثين سنة، وترك لنا تراثاً كبيراً من خطبه وكلماته ومواقفه الحكيمة وسيلاً من سلوكيات ومناقب وفضائل قلما اجتمعت في رجل واحد. فهو كما يقول ابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ): "فأما فضائله عليه السلام، فإنها قد بلغت من العظم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغاً يسمج معه التعرض لذكرها، والتصدي لتفصيلها"[1].

كما أن المواقف الشهيرة التي وقفها الإمام عليه السلام في مجمل أدوار حياته وكذا مواقفه تجاه الأحداث التي ألَّمت بالأمة، بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله مواقف عظيمة بحاجة إلى دراستها دراسة فكرية جديدة تتناسب ومقتضيات العصر.

لذلك ارتأينا أن ننهل من هذا الفكر العظيم منهلا صغيرا نتناوله بالبحث والدراسة، فوقع اختيارنا على مفهوم (التسامح) ليكون محورا لبحثنا هذا، لما لهذا الموضوع من أهمية تتعلق بالدرجة الاولى باشاعة ثقافة التراحم والتآلف بين أفراد المجتمع، مما يؤدي الى تفشي السلم الاجتماعي بين أفراده، فضلاً عن أهميته في وقتنا الحاضر لشيوع هذه الثقافة في مجتمعنا العراقي، لما لها مردود ايجابي على المجتمع بصورة عامة. وقد وسمناه بـ"مفهوم التسامح عند الامام عليه السلام"، وقد اقتضت ضرورة الدراسة أن يقسم الى مبحثين، درس الاول منهما "معنى

التسامح ومدلولاته في القرآن والسنة"، فيما تناول الثاني "مفهوم التسامح عند أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام"، وقفيناه بخاتمة لأهم الاستنتاجات التي توصل اليها البحث.

المبحث الأول

معنى التسامح ومدلولاته في القرآن والسنة

التسامح لغة واصطلاحاً:

التسامح في اللغة: سَمحَ - بفتحتين - سموحاً وسماحةً، جاد وأعطى، أو وافق على ما أُريد منه[٢]. والسماحة: الجود، يقال: سمح أسمح، إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء، وسامحه بكذا أعطاه[٣]. قال الشاعر:

في فتية بسط الأكف مسامح عند الفضال قديمهم لم يدثر(٤)

وفي الحديث الشريف: "يقول الله عز وجل، إسمحوا لعبدي كإسماحه إلى عبادي"[٥]. وسمح لي فلان: أي أعطاني، وسمح لي بذلك يسمح سماحةً، وافقني على المطلوب[٦]. وفي الحديث الشريف: " السماح رباح "[٧]، أي المساهلة في الأشياء تربح صاحبها[٨].

ورجل يسمح لك: معناه سهل لك وعليك، قالت العرب: عليك بالحق فأن فيه لمسمحاً، أي متسعاً[٩]. وفي الحديث الشريف: " رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا أقتضى"[١٠].

أما اصطلاحاً: فأنه يدل على تلك المعاني مجتمعة: الجود والكرم، والرفق واللين، والعفو عند الذنب[١١].

مدلولاته في القرآن والسنة:

لم يرد مصطلح التسامح بهذه الصيغة في القرآن الكريم، فلا يوجد لفظ

التسامح، وإنما يمكن القول بوجود المضامين التي يتضمنها التسامح (كالعفو والرحمة والمغفرة والتوبة والإحسان)، فهي توجد ضمن حقل دلالي تحت عبارات العفو والإكراه والتذكرة وما اتصل بمجال الإيمان والكفر[١٢].

أما في الأحاديث النبوية فقد ورد مضمون التسامح بمعنى واضح كما قدمنا لبعضها، كذلك بالنسبة لمفهوم التسامح على مستوى العقيدة الإسلامية، فلا يوجد - من خلال البحث في النصوص الإسلامية - مفردة التسامح وإنما الموجود بعض المفردات الأخرى التي تقترب في المضمون منها[١٣].

ففي النصوص الإسلامية نجد استخدام المفردات الآتية، المداراة، الرفق، السماحة، اليسر، التيسر، وكلها مفردات تتقارب في مضمونها وجوهرها من المضمون المتداول لمصطلح التسامح. الذي يعني على المستوى الفعلي التوليف بين الاعتراض والقبول فليس كل ما ترفضه عقلياً أو تناقضه معتقدياً، تمارس بحقه القطيعة والحرب، والمطلوب التسامح، الذي يحتضن في جوهره الاعتراض والقبول في آن واحد[١٤].

أما الآيات التي تناولت في مضمونها مبدأ التسامح فهي تأتي إما بمعنى الصفح[١٥]، أو العفو[١٦]، أو الإحسان للمسيء[١٧]، أو الأمر بالمعروف والقول الحسن[١٨]، أو غير ذلك من الصفات الحميدة.

وحتى الآيات التي جاءت أو نزلت في الحرب فأنها لم تخرج عن المنهج الذي جاء به الإسلام في الدعوة إلى الآخر للسلام، وهي بذلك دفاع عن النفس ليس إلا. فقد أوجبت التعاليم الإسلامية دعوة الأعداء من غير المسلمين إلى الدين الجديد قبل القتال، وذلك لبيان الحجة لهم وإقناعهم، قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١٩]، لذلك أوجبت الدعوة، ولكي يتسنى للمدعوين النظر فيها، يؤمّنوا

ثلاثة أيام يكون لهم الخيار بعدها، وعسى أن يهتدوا للإسلام، كما سارع أهل اليمن سنة عشرة هجرية لَّما استجابوا لنداء الإمام علي عليه السلام الذي حقق مطلب الرسول صلى الله عليه وآله القاضي بالتأني وعدم الاستعجال، حيث أوصاه أن لا يقاتلهم إذا نزل بساحتهم حتى ولو قتلوا منهم رجلاً، وأن يكرر عليهم الدعوة، عسى أن يدخلوا في الإسلام، فأن هدى الله على يده "رجلاً واحداً خير له مما طلعت عليه الشمس أو غربت"[٢٠].

فالمنظومة الأخلاقية التي شرعها الإسلام من قبيل الرفق والإيثار والعفو والإحسان والمداراة والقول الحسن والألفة والأمانة، وحث المؤمنين إلى الالتزام بها وجعلها سمة شخصيتهم الخاصة والعامة؛ كلها تقتضي الالتزام بها وجعلها سمة شخصيتهم الخاصة والعامة. بمعنى إن تجسيد المنظومة الأخلاقية على المستويين الفردي والاجتماعي يفضي لا محالة إلى شيوع حالة التسامح في المحيط الاجتماعي. فالمداراة تقضي القبول بالأخر واليسر والتيسير يتطلبان التعايش مع الآخرين، وحتى ولو اختلفت معهم في القناعات والتوجهات. والرفق يتطلب توطين النفس على التعامل الحضاري مع الآخرين، حتى ولو توفرت أسباب الاختلاف والتمايز معهم[٢١]. ولذلك نجد أن الذكر الحكيم يرشدنا إلى حقيقة أساسية وهي: ((أن حسن الخلق والتعامل الحضاري مع الآخرين قد يحولهم من موقع العداوة والخصومة إلى موقع الولاء والانسجام))[٢٢].

إذ يقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٢٣]. وجاء في تفسير قوله تعالى ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[٢٤]، أي للناس كلهم مؤمنهم ومخالفهم. فالمؤمنون يبسط لهم وجهه، وأما المخالفون فيكلهم بالمداراة لاجتذابهم إلى الإيمان.

ويمتدح الباري عز وجل أولئك النفر الذين يتجاوزون مصالحهم الخاصة

والضيقة من اجل المصلحة العامة، ويؤثرون الآخرين على أنفسهم، إذ قال عز وجل ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٢٥).

ويأمر الله سبحانه بالعدل والإحسان في كل أحوالهم وأطوار حياتهم؛ إذ يقول عز من قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٢٦).

ومن خلال هذه المنظومة القيمية والأخلاقية نرى أن المطلوب من الإنسان المسلم في كل أحواله وأوضاعه أن يلتزم بمقتضيات التسامح ومتطلبات العدالة.

التعايش السلمي:

إن ما يشجع على الأخذ بنهج التسامح هو أن البشر بطبيعتهم مختلفون ولذا فأنه ادعى لهم أن يتعايشوا ويتعارفوا ويتعاونوا إذ ثمة حقيقة إنسانية ثابتة ينبغي الاستناد عليها في عملية تطوير العلاقات الاجتماعية والإنسانية وتجاوز كل الأحقاد والضغائن، وهذه الحقيقة هي أن الإنسان بحاجة إلى أخيه الإنسان من أجل التعايش.

ويؤكد الإسلام على إن هذا الاختلاف ليس مدعاة للتباغض والتباعد وليس معيارا على التفاضل بين أفراد الجنس البشري، وأن معيار التفاضل بينهم هو معيار كسبي، ويؤكد القران الكريم هذا المعنى بقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٢٧).

ومن هنا لا يجوز أن ننظر إلى اختلاف الجماعات البشرية في أعراقها وألوانها

ومعتقداتها ولغاتها على أنها تمثل حائلاً يعوق التقارب والتسامح والتعايش الايجابي بين الشعوب، بل ينبغي أن يكون دافعاً للتعارف والتعاون والتآلف بين الناس من أجل تحقيق ما يصبون إليه من تبادل للمنافع وإثراء للحياة والنهوض بها[٢٨]. فضلاً عن أن شيوع التسامح في مجال حرية الفكر والتعبير دون مصادرة أو قمع للآخر، من شأنه أن يوفر مناخاً مناسباً لتلاقح الأفكار وتطورها من خلال النقد البناء والحوار الهادف، مما يخلق مزيداً من التطور والإبداع في الفكر. ونستشهد هنا بقول الفيلسوف البريطاني كارل بوبر[٢٩]: "إن تحقق تقدم في ميدان العلوم يبدو مستحيلاً من دون تسامح، فمن دون إحساسنا الأكيد أن بإمكاننا أن نذيع أفكارنا علناً، من هنا فالتسامح والتفاني في سبيل الحقيقة هما اثنان من المبادئ الأخلاقية المهمة التي تؤسس للعلوم من جهة وتسير بها العلوم من جهة أخرى"[٣٠]. لذا فان تكريس التسامح لابد أن يتغلغل في كل مفردات وجنبات حياتنا والعمل على قبول الآخر في مختلف أبعاد مسيرة نهضتنا.

وعليه نستطيع القول بأن الاختلاف يؤسس للتعايش السلمي، بشرط أن يكون المبدأ الأساس في التعامل مبني على التسامح بين أفراد المجتمع.

المبحث الثاني

التسامح عند أمير المؤمنين علي عليه السلام

إن من يتمعن في سيرة الإمام عليه السلام ويتأمل مواقفه، يتجلى له أنه عليه السلام كان يدعو بشكل حثيث إلى العفو والسلام، وكان يعتمد على اللين والصفح الجميل.

ولا عجب أن تكون شخصيته عليه السلام بتلك الصورة، التي تجسدت فيه أخلاق الإسلام ومُثله، فقد تعهده الرسول صلى الله عليه وآله طفلاً ورباه صبياً، وثقفه فتى. وسنسلط الضوء في هذا المبحث على أهم الجوانب التي تناولها موضوع التسامح في فكر الامام عليه السلام.

أولاً: التسامح في الجانب الديني والسياسي.

على الرغم من أن الإمام عليه السلام كان شديداً في ذات الله وتطبيق تعاليم الدين الإسلامي، وما جاء به القرآن الكريم من أحكام، إلا أنه كان يبدي في بعض الأمور تسامحاً كبيراً لا يخرج عن مبادئ الدين، بل هو من صميمه، لأن روح الإسلام هي روح تسامح قبل كل شيء، فضلاً عن كون تطبيق ذلك من أولويات إمام الأمة المفترض الطاعة، والإمام عليه السلام - في بعضها - يستخرج من نصوص الأحكام روحها وشفافيتها التي أراد الإسلام التسهيل بها على العباد، رحمة لهم في بعضها - وتسهيلاً في بعضها الآخر.

ويظهر ذلك التسامح جلياً - فيما إذا تعلق الأمر بشخصه عليه السلام، فكم من أمر تركه الإمام عليه السلام تسامحاً في حقه لسبب من الأسباب، كان يرى أن تركه مصلحة للإسلام وللمسلمين وأن إثارته فرقة قد تودي بالمجتمع إلى فتنة لا تُحمد عقباها.

ولعل من أهم ما حاول تركه من حقه، خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، وبيَّن أسباب تركه ذلك، فيما روي عنه عليه السلام لما أراده الناس على البيعة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: " دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان. لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول. وإن الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت. واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب. وإن تركتموني فأنا كأحدكم و لعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم. وأنا لكم وزيرا خير لكم مني أميرا"(٣١).

ومن خلال هذا النص تتضح رؤية الإمام عليه السلام للأسباب التي أراد دفع الأمر عنه ومبايعة غيره بالخلافة، لأنه عليه السلام رأى أن المسلمين بعد مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه مقبلون على أمور ستشكل على بعضهم فلا يستطيعون تقديرها بالمستوى المطلوب، كما أن علاجها - كما يرى عليه السلام - يتطلب نوعاً من توحيد الرؤى والأهداف، لا يمكن لهم تقديره والمضي فيه، فذلك يتطلب نظرة ثاقبة في بواطنه

وسبر غور أحداثه، وسطحية بعضهم وتأثيره قد لا يتيح لهم رؤية ما يراه الإمام عليه السلام، وهي نظرة خبير فاحص خبر الأمور وعرف دوافعها - المسيَّسة والمدفوعة برغبة سلطوية عند بعض أصحاب النفوذ بين المسلمين آنذاك - لذا فمعالجة مثل تلك المواقف يتطلب تكاتف الجميع وتضافر الجهود من اجل الوصول إلى بر الأمان.

كما يتطلب شخصاً خبيراً بالتعامل معها شديداً في ذات الله، غير خاضعٍ لأحد ولا متهاوناً بحقٍ، ماضٍ في تطبيق ما يراه مناسباً لمعالجة ما يتطلب علاجه.

وإزاء هذا كله - ولمعرفة الإمام عليه السلام وإحاطته بدوافع وخفايا تلك الحادثة، أراد تنبيه المسلمين لذلك، وأنهم مقبلون على فتنة كبرى قد تهد أركان المجتمع الإسلامي في حال تركت بلا علاج جذري، فضلا عن إلقاء الحجة عليهم إذا ما اضطر للموافقة على مبايعته خليفة، بأنه صاحب الأمر المطلق وأنه عليه السلام بما انطوى عليه من علم، أعلم منهم بمفاتيح الأمور وحلِّ عصيّاتها، وليس لأحدٍ أن يعترض على إجراءٍ أو قرار.

وهذا الانفراد بالقرار، ليس الغاية منه إنفراده بالسلطة، بل يرى عليه السلام أنه إجراء ضروري لمواجهة الأزمة التي تلوح بالأفق وتنذر بفتنة كبرى تعم المجتمع ككل. والسبب في ذلك تشابك المواقف والأهواء والإرادات التي أدت مجتمعةً إلى فتنة نتج عنها مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه - وهي كما تبدو - متنازعةً فيما بينها ايضاً، فكل منها ينشد من ورائها أهدافه الخاصة، ففي الوقت الذي رأى فيه الإمام علي عليه السلام أن المآخذ التي أخذت على عثمان رضي الله عنه غير مشروعة لهدر دمه، يتوضح ذلك من كلامه للمحاصرين للخليفة في داره "وما تعرض لكم هذا الرجل، فيما تستحلون حصره وقتله"(٣٢)، نرى البعض يمني النفس بالخلافة ووقف ضد الخليفة عثمان وألَّب عليه حتى قتل، منهم معاوية بن أبي سفيان، الذي أدرك موقفه الخليفة عثمان أيام الأزمة، والذي يتوضح من رده على

جواب معاوية له بشأن إبطائه في إرساله الجيش لإسناده وهو محصور بقوله بأنه قدم إلى المدينة لمعرفة رأي الخليفة ثم يعود بهم، بقوله له: " لا والله ولكنك أردت أن اقتل فتقول أنا ولي الثأر "[٣٣]، وكذلك الحال بالنسبة لطلحة والزبير، والتي تذكر المصادر انهما أرادا من الإمام علي عليه السلام أن يوليهما ولاية فجاءا إليه وقالا له: " إنه قد نالتنا بعد رسول الله جفوة، فأشركنا في أمرك! فقال: أنتما شريكاي في القوة والاستقامة، وعونا لي على العجز والأود "[٣٤].

وبعضهم كان ينقم عليه بفعل بعض الأمور التي نُسبت إليه وأغلبها من أعمال مروان بن الحكم كاتب الخليفة عثمان رضي الله عنه[٣٥]. وقد ذكرت المصادر التاريخية انه كان الغالب على الخليفه في أمره، ويتضح ذلك من كلام الامام علي عليه السلام للخليفة قبل مقتله: "إني قد كنت كلمتك مرة بعد مرة فكل ذلك نخرج فتكلم ونقول وتقول وذلك كله فعل مروان بن الحكم..."[٣٦]، وبعضهم كان بعيداً عن الأحداث إلا انه تأثر بأحد الفريقين فأنظم إليه.

فكان لابد - والأوضاع هذه - من أن يتولى الأمة شخص يتمتع بشخصية قيادية، تنطوي على علم جم في كل المجالات يستطيع من خلالها التعامل مع الموقف الناشئ واحتوائه بما هو صلاح للمجتمع والأمة. وهذه الصفات كانت متوافرة في شخص الإمام عليه السلام، فكان يرى أنه قادر على تصحيح مسار الأمة وإعادتها إلى الطريق السليم.

ولأن الوضع لا يتحمل تعدد الآراء وتشتيت الجهود، اقتضى ذلك وجود شخصية قيادية موحدة ملمَّة بالأحداث تتولى إدارة الوضع والخروج من المأزق. وهذا ما أراده الإمام عليه السلام، كون تعدد الآراء قد يؤثر سلباً على الحلول لاسيما وأن الأمة مفترقة، فتوحيد الرؤى والأهداف يعد مطلباً ضرورياً لإعادة الأمور إلى مسارها الصحيح.

ورؤية الإمام عليه السلام هذه وضحها في خطبة أخرى بعد أن بايعه الناس بالخلافة، وبدأت الأصوات تتصاعد مطالبةً بمعاقبة من أجلب على عثمان رضي الله عنه وقتله، فكان لابد وأن يتخذ موقفاً حاسماً في هذا الأمر يجمع عليه أمر الناس، فقال عليه السلام: "يا إخوتاه إني لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف لي بقوة والقوم المجلبون على حد شوكتهم، يملكوننا ولا نملكهم، وهاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، والتفت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا، وهل ترون موضعا لقدرة على شيء تريدونه. إن هذا الأمر أمر جاهلية، وإن لهؤلاء القوم مادة"(٣٧).

ويؤكد الإمام عليه السلام رؤيته لذلك، وتحليله لموقف الناس وما آل إليه المجتمع وما يعانيه من انقسام قد يهدد سلامته، فيحاول هدايتهم إلى الطريق القويم والحل الأمثل للخروج من هذا المأزق، فيقول عليه السلام: "إن الناس من هذا الأمر - إذا حرك - على أمور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا ذاك، فاصبروا حتى يهدأ الناس، وتقع القلوب مواقعها، وتؤخذ الحقوق مسمحة فاهدأوا عني، وانظروا ماذا يأتيكم به أمري، ولا تفعلوا فعلة تضعضع قوة وتسقط منة، وتورث وهنا وذلة، وسأمسك الأمر ما استمسك، وإذا لم أجد بدا فآخر الدواء الكي"(٣٨).

وهذه الخطبة تشرح بالتفصيل رؤية الإمام عليه السلام، فضلاً عن أنها تبين مدى فهمه للوضع، فالناس آنذاك - كما يوضح الإمام - مفترقة على ثلاث فرق، فرقة تطالب بالقصاص للخليفة المقتول، وأخرى - وهم الأكبر والأشد شوكة - ترى أنها فعلت صواباً بقتلها للخليفة، وثالثة اعتزلت الأمرين معاً. لذا فإن أي فعل غير محسوب العواقب قد ينذر بكارثة تهدد أركان المجتمع ككل، فكان الإمام عليه السلام بما احتوى عليه من علم وإدراك لحجم المشكلة الملقاة على عاتقه، فضلاً عن وضع المجتمع آنذاك وما صار إليه - يرى أن تترك الأمور على حالها من دون تقديم الجناة إلى العدالة ومحاكمتهم، لأسباب عدة منها، أن أعداد المؤلبين على

الخليفة والموافقين بمقتله كبيرة جداً لا يمكن حصرها، كذلك إن الوضع الآني للدولة لا يسمح بمثل هكذا إجراء كون الأفضل في مثل هذه الظروف الالتفاف إلى ترميم الأوضاع الداخلية وتقويتها ومحاولة إعادة فرض النظام في المجتمع، وهي الأولوية القصوى؛ فإذا استقرت أمكن عندها اتخاذ الإجراءات التأديبية بحق الجناة، أما والوضع بهذه الصورة فلا يمكن ذلك، لأن فيه مخاطرة كبيرة بكل المقاييس، حتى أنه عليه السلام وصف مثل هذا الإجراء بالأمر الجاهلي. فالارتجال واتخاذ قرارات متسرعة غير مدروسة في مثل هذه المواقف قد يؤدي إلى نتائج تزيد الأمور تعقيداً بدلا من حلها. فضلاً عن أن الدخول في صراع مع أحد الأطراف - والتي تمثل السواد الأعظم - أمر في غاية الخطورة بالنسبة لعملية إدارة الأزمة، لذا وجب تهدئة الناس ثم تؤخذ الحقوق وتستوفى.

وقد أثبتت الأحداث التالية والتي تسارعت وتيرتها صحة وجهة نظر الإمام عليه السلام بفعل الاختلاف الذي استشرى في الأمة بعد بيعة الإمام، فاستقبلت الأمة أول انقسام لها بعد أن نكث طلحة والزبير بيعتهما وخرجا إلى البصرة مستصحبين معهم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهنا حاول الإمام عليه السلام معالجة هذا الأمر بالطرق السلمية أولاً، فكتب إليهم: " لقد نقمتما يسيرا وأرجأتما كثيرا، ألا تخبراني أي شيء لكما فيه حق دفعتكما عنه، وأي قسم استأثرت عليكما به، أم أي حق رفعه إلى أحد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته، أم أخطأت بابه والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها، فلما أفضت إلي نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتبعته، وما استسن النبي صلى الله عليه وآله فاقتديته، فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما ولا رأي غيركما، ولا وقع حكم جهلته فأستشيركما وإخواني المسلمين، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما"(٣٩).

يتضح من خلال هذه الخطبة تسامح الإمام عليه السلام مع مخالفيه، واستعداده

للتحاور معهم للوصول إلى نتيجة، من خلال ما تضمنه الكتاب من حجج وبراهين يؤكد من خلالها قدرته على قيادة الأمة الإسلامية، وأن أسلوبه في إدارة الأزمة الحاصلة في المجتمع لم يكن ارتجاليا غير مدروس، وإنما كان نابعاً من نهج القرآن الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، قال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، فأسلوب الحوار المبني على الحجة الدامغة والدليل القاطع هو الحل الأمثل لمثل هذه الخلافات.

وعلى الرغم من كل ذلك، إلا أن الاضطراب السياسي والفكري ساد أوساط المجتمع الإسلامي آنذاك، فأثمرت ثلاث حروب كبرى خلال مدة خلافته. فكان عليه السلام قبل كل حرب يُجبر على خوضها يتبنى فكرة الإصلاح ومحاولة حل الخلاف بصورة سلمية. إلا أن حجم الفتنة كان أكبر من أن يحل ويبدو أنه تجذّر في المجتمع سياسياً وفكرياً بفعل المتحكمين من أصحاب المصالح مما أثر بالتالي على فئات المجتمع ككل، وهذا ما كان يلمح إليه الإمام عليه السلام في خطبة له لما أضطرب عليه أصحابه في أمر التحكيم بينه وبين أصحاب معاوية بعد معركة صفين سنة ٣٧هـ، حيث يقول: "أيها الناس إنه لم يزل أمري معكم على ما أحب حتى نهكتكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وهي لعدوكم أنهك، لقد كنت أمس أميرا فأصبحت اليوم مأمورا. وكنت أمس ناهيا فأصبحت اليوم منهيا. وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون"(٤٠).

إذ يصل الإمام عليه السلام إلى حقيقة تجذُّر الخلاف والخُلف بين الفئات المتصارعة حتى أصبح الإمام عليه السلام بينهم كمن لا حول له ولا قوة، وهذا لأن الناس اضطربت أفكارهم وتضادت آرائهم نتيجة لاختلاف الأهواء وتصادم المصالح وضعف الإيمان.

وهنا يبرز تسامح الإمام عليه السلام وتسمو نفسه الأبية فوق المصالح الدنيوية الزائلة والصراعات الفكرية الخارجة عن الدين، فيقرر أن لا يحمل الناس على

ما يكرهون وليس ذلك هروباً من المسؤولية بقدر ما هو الحفاظ على المجتمع من الانهيار، بعد أن وصلت الأمور إلى طريق مسدود بين الفرق المتناحرة، حتى أن استخدام القوة لفرض النظام لم يعد خياراً متاحاً بسبب أن أصحابه عليه السلام ومؤيديه كانوا سلبيين في مواقفهم. إذ كان الإمام عليه السلام يحاول استنهاضهم فلا يجيبونه، ولم يكن الإمام يرى أن يحملهم على ما يكرهون لأن ذلك قد لا يأتي بنتائج إيجابية.

وهذه الرؤية تجسدت بصورة كبيرة في أوضاع المجتمع فيما بعد واتضحت جلية فيما أصبحت عليه الناس، وهو ما نتلمسه بوضوح في رواية كثير بن نمر والذي قال: " بينا أنا في الجمعة وعلي بن أبي طالب على المنبر إذ جاء رجل فقال: لا حكم إلا لله، ثم قام آخر فقال: لا حكم إلا لله، ثم قاموا من نواحي المسجد يحكمون الله فأشار عليهم بيده: أجلسوا، نعم لا حكم إلا لله، كلمة حق يبتغي بها باطل، حكم الله ينتظر فيكم، الآن لكم عندي ثلاث خلال ما كنتم معنا، لن نمنعكم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ولا نمنعكم فيئا ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلوا، ثم أخذ في خطبته"[٤١].

فعلي بن أبي طالب عليه السلام حينما تمرد عليه الخوارج - وهو الحاكم الشرعي - المنتخب من جماهير الأمة، ورغم أنهم تجرؤوا على الإمام برميه بالكفر والشرك، إلا أنه وانطلاقاً من بصيرته الدينية النافذة، وخلقه الإسلامي الرفيع وتسامحه، رفض عليه السلام أن يعتبر الخوارج الذين كفروه كفاراً، أو أن يحكم بخروجهم عن الإسلام، فضلاً عن موقفه وتعامله مع سائر المحاربين له. وهو ما أكده الإمام الباقر عليه السلام بالقول: " إن عليا لم يكن ينسب أحدا من أهل حربه إلى الشرك ولا إلى النفاق، ولكنه كان يقول: " هم إخواننا بغوا علينا "[٤٢].

وحين سأل الإمام عليه السلام عن أهل الجمل، "أمشركون هم؟ قال: من الشرك فروا. قيل: أمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا. قيل: فما هم؟

قال: إخواننا بغوا علينا"[٤٣].

وينقل الغزالي (ت٥٠٥هـ) أن علي بن أبي طالب عليه السلام استأذنه قضاته في البصرة بالقضاء بشهادة أهلها من الخوارج وغيرهم أو ردها فأمرهم بقبولها[٤٤].

فموقف الإمام علي عليه السلام هذا إنما هو انعكاس وتجسيد لأخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وتوجيهاته؛ حيث كان يربي أصحابه وأتباعه على احترام حقوق الإنسان بشكل عام ورعاية حرمة الفرد بشكل خاص، وعدم التسرع في اتهامه في دينه، فضلا عن سعة صدره عليه السلام وكيف كان يحتمل مخالفيه وأهل حربه من المسلمين وأنه كان يواجههم بالصفح والعفو وحسن العبارة؛ وهذا كله انعكاس لروح التسامح عند الإمام عليه السلام.

وفي هذا الظرف العصيب الذي يمر به بلدنا.. كم نحن بحاجة الى هذه الروح السامية في التسامح والمحبة والتآلف.. وكم نحن بحاجة الى تمثل مواقف الامام والاهتداء بأنواره وتلمس سيرته النقية.

وخلاصة ذلك كله يؤدي بنا إلى جملة من الأمور التي يمكن استنباطها من خلال خطبه عليه السلام وهي:-

كان الإمام عليه السلام على دراية كاملة بما آلت إليه الأوضاع السياسية المضطربة التي خلَّفها مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فحاول عدم الانصياع لرغبات الناس الذين أرادوا مبايعته بالخلافة، لعلمه أن استقرار الأوضاع مرهون باجتماع كلمة المسلمين، وهو ما لم يكن وارداً آنذاك.

إن الإمام عليه السلام أظهر تسامحاً - بكل ما يحمل من معان - كبيرا مع الناس، فقد صبر على اختلافهم وتناحرهم وتمزق كلمتهم، كما اتخذ سياسة الحل السلمي والحوار في محاولة منه عليه السلام لجمع شمل الأمة الإسلامية تحت قيادته، وبذل في ذلك جهوداً كبيرة حاول من خلالها تجنب استخدام القوة.

بعد أن أجبرته الظروف على خوض ثلاث مواجهات كبرى مع المخالفين والخارجين عليه، تعامل الإمام عليه السلام بحذر كبير نابع من سياسة تسامحية مع المجتمع والمسلمين، كون الأمور قد وصلت إلى مفترق طرق لا يمكن التعامل معها إلا بهكذا تصرف، فكان يحاول عليه السلام عن طريق الحوار والدعوة إلى السلم، دفع خيار القوة الذي ألجأه أليه مخالفوه رافضين أيَّ حلٍ سلمي للأزمة.

ويؤكد الإمام عليه السلام ضرورة أن تكون أسس بناء مجتمع نابعة من صميم الإسلام وتسامحه، ومحاولة تهذيب النفس تهذيباً يصلح معها العمل ويقوم به المجتمع، وهذا ما يتضح من كلامه عليه السلام وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين: " إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم، اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به"(٤٥).

كما وروي أنه عليه السلام كان جالسا في أصحابه فمرت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم فقال عليه السلام: " إن أبصار هذه الفحول طوامح، وإن ذلك سبب هبابها(٤٦)، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهله فإنما هي امرأة كامرأة، فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافرا ما أفقهه! فوثب القوم ليقتلوه، فقال عليه السلام: رويدا إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب"(٤٧).

ويتضح من خلال النص حرص الإمام عليه السلام على الاهتمام بتهذيب النفس البشرية ومحاولة تنمية الفضائل الأخلاقية الكفيلة بتحقيق تكامل نفسي واجتماعي يرتقي من خلاله المسلم بصفاته وكمالاته الروحية إلى درجات عليا من الرقي، في نفس الوقت هو تأكيد على انحراف الطرف الآخر وتظليله للحقائق، فالإخبار عن حاله وفضح أعماله غير الصحيحة ابلغ من سبه وشتمه وأكثر تأثيرا وفائدة من

إفشاء ثقافة اللعن والسب.

ثالثاً: التسامح في الجانب الاقتصادي.

اهتم الإمام علي عليه السلام بالجانب الاقتصادي وأولاه عناية خاصة، وذلك لارتباط هذا الجانب

بحياة الناس ومعيشتهم. ولأنه إمام الأمة وخليفة المسلمين فقد تعامل بحزم أمام كل المحاولات الرامية إلى التعدي على حقوق الناس.

وكان من أول ما فعله حين تسلم الخلافة، أنه ألغى نظام العطاء الذي كان متبعاً قبله، والذي وضعه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أساس الهجرة والسابقة في الإسلام والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله[٤٨]، وأعاده إلى النظام الذي كان متبعاً على عهده وعهد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه وهو المساواة في العطاء بين عموم المسلمين. إلا أن بعض المسلمين آنذاك رفضوا ذلك وحاولوا الوقوف بوجه هذا المشروع، إلا أنه عليه السلام مضى بمشروعه هذا، ولما عوتب على التسوية في العطاء قال: " أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه، والله ما أطور به ما سمر سمير، وما أم نجم في السماء نجما، لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وإنما المال مال الله "[٤٩].

وبيَّن الإمام عليه السلام السبب في ذلك بالقول: " ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الناس ويهينه عند الله، ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه ولا عند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم، وكان لغيره ودهم، فإن زلت به النعل يوما فاحتاج إلى معونتهم فشر خدين، وألأم خليل "[٥٠].

ويدل هذا النص على تشدد الإمام عليه السلام في الحفاظ على المال العام وضمان وصوله إلى مستحقيه، وتوزيعه بعدالة.

فقد عدَّ الإمام أن توزيعه بغير مبدأ المساواة بين المسلمين، إنما هو تبذير وإسراف يحاسب الله عليه، وعلة ذلك - كما يذكر الإمام عليه السلام - أن المال مال الله عز وجل، والمعنى أن الله سبحانه هو الذي رزقه المسلمين بعد أن مكنهم في الأرض وسلطهم على رقاب غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى فأخذوا الخراج والجزية، وملكوا الأراضي وغنموا الغنائم في الحروب، وكل ذلك بتوفيق الله تعالى ونصره إياهم. وعلى ذلك فالمسلمون شركاء فيه، لا فضل لأحدٍ منهم فيه.

فالامام عليه السلام يرى انه موظف مسؤول أمام أموال المسلمين وأنها مسؤولية مقدسة لا يمكن التفريط بها وأن التقصير خيانة وجريمة كبرى والحفاظ على أموال المسلمين واجب مقدس.

ويؤكد الإمام عليه السلام أن قسمة هذا المال بين المسلمين بالتساوي ليس اجتهادا منه وإنما جاءت به الشريعة السمحاء، وفي ذلك يقول عليه السلام مخاطباً طلحة والزبير لما خرجوا عليه ونقموا قيامه بذلك: "وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي ولا وليته هوى مني، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله قد فرغ منه، فلم أحتج إليكما فيما فرغ الله من قسمه وأمضى فيه حكمه، فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبى"(٥١).

كما ويؤكد عليه السلام أن مسألة توزيع هذا المال تحكمها قوانين وتنظيمات تشريعية لا يمكن التغاضي عنها تحت أي ظرف، ومنها أن أموال الفيء تخص المقاتلين ولا يعطى منها من لم يقاتل معهم أو لم يشترك في حملتهم، وهذا من باب الحق والعدالة في التوزيع. وقد ورد عنه عليه السلام قولاً كلم به عبدالله بن زمعة(٥٢) وقد جاء يطلب منه مالاً، فقال له: " إن هذا المال ليس لي ولا لك وإنما هو فئ للمسلمين وجلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم، وإلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم "(٥٣).

وحين بلغه أن مصقلة بن هبيرة يقسم الفيء في غير محله من المسلمين كتب إليه كتاباً يقول فيه: "بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك وأغضبت إمامك: أنك تقسم فئ المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم وأريقت عليه دماؤهم فيمن اعتامك[٥٤] من أعراب قومك، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لئن كان ذلك حقا لتجدن بك علي هوانا، ولتخفن عندي ميزانا، فلا تستهن بحق ربك، ولا تصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الأخسرين أعمالا ألا وإن حق من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء يردون عندي عليه ويصدرون عنه"[٥٥].

أما فيما يخص حماية هذه الأموال من تلاعب بعض ذوي النفوس الضعيفة، فقد وقف الإمام عليه السلام بوجه كل من يحاول سرقة أو التلاعب هذه الأموال، كقيام بعض الولاة بمحاولة الاستئثار به دون المسلمين، فقد كتب إلى زياد ابن أبيه – وهو خليفة عبدالله بن عباس على البصرة – قائلاً: " وإني أقسم بالله قسما صادقا لئن بلغني أنك خنت من فئ المسلمين شيئا صغيرا أو كبيرا لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الأمر، والسلام"[٥٦].

والكتاب تحذير شديد لزياد من محاولة سرقة هذا المال، لأنه من حقهم وليس له، وأن حماية تلك الأموال وإيصالها إلى مستحقيها تقع على عاتق الإمام عليه السلام كونه إمام الأمة وخليفة المسلمين. وهو أساس العدالة الاجتماعية التي ينادي بها إسلامنا الحنيف.

كما أرسل إليه كتاباً آخر يقول فيه: " فدع الإسراف مقتصدا، واذكر في اليوم غدا، وأمسك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتك، أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين، وأنت عنده من المتكبرين وتطمع وأنت متمرغ في النعيم أن تمنعه الضعيف والأرملة، وأن يوجب لك ثواب المتصدقين، وإنما المرء مجزى بما أسلف، وقادم على ما قدم. والسلام"[٥٧].

ولم تقف جهود الإمام عليه السلام في المحافظة على الأموال العامة وحقوق المسلمين عند هذا الحد، وإنما تجاوز ذلك بقيامه بمتابعة عمل الجباة والمكلفون بجمع تلك الأموال، فيوصيهم الإمام عليه السلام بالمزاوجة بين الحرص على استيفاء الحقوق من المشمولين بها وبين الرأفة ولإنصاف في تحصيلها، فلا يتركوا حقاً ولا يظلموا أحداً في شيء من أمواله، ولا يأخذوا مالاً لم تسمح به نفس صاحبه. وهذا ما يدل عليه كتابه إلى عماله على الخراج، والذي جاء فيه: " أما بعد فإن من لم يحذر ما هو صائر إليه لم يقدم لنفسه ما يحرزها، وأعلموا أن ما كلفتم يسير وأن ثوابه كثير، ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه، فأنصفوا الناس من أنفسكم، واصبروا لحوائجهم فإنكم خزان الرعية ووكلاء الأمة وسفراء الأئمة، ولا تحسموا أحدا عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابة يعتملون عليها ولا عبدا، ولا تضربن أحدا سوطا لمكان درهم، ولا تمسن مال أحد من الناس مصل ولا معاهد، إلا أن تجدوا فرسا أو سلاحا يعدي به على أهل الإسلام فإنه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام فيكون شوكة عليه"[٥٨].

وقريب من هذا المعنى يروي عبد الملك بن عمير[٥٩] قائلاً: "استعملني علي بن أبي طالب رضي الله عنه على برزج سابور[٦٠]، فقال: لا تضربن رجلا سوطا في جباية درهم ولا تبعن لهم رزقا، ولا كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابة يعتملون عليها، ولا تقيمن رجلا قائما في طلب درهم. قال: قلت: يا الإمام إذا ارجع إليك كما ذهبت من عندك، قال: وإن رجعت كما ذهبت، ويحك أنا أمرنا أن نأخذ منهم العفو "[٦١].

وهذا كله يدل على جملة من الأمور هي:-

التسامح الكبير الذي أبداه الإمام عليه السلام في التعامل مع الحقوق الخاصة للمسلمين والمتمثلة بالعطاء من بيت المال، وتوزيع الغنائم والفيء بين المقاتلين

وجباية الضرائب الشرعية التي وجبت على المعاهدين.

تعامل الإمام عليه السلام مع هذه الأموال تعاملاً مستمداً من الشريعة الإسلامية السمحاء، والتي أعطت كل ذي حق حقه، ولم يكن اجتهادا منه عليه السلام، وإنما نصٌ على ذلك القرآن الكريم ورسول الله صلى الله عليه وآله.

إن التسامح في جباية الأموال المفروضة على أهل الذمة والمعاهدين إنما هو مستمد من روح الشريعة السمحاء، فهؤلاء دخلوا في ذمة الإسلام لذا فحمايتهم واجب على المسلمين. وأن التسامح في استيفاء الحقوق منهم قد يؤدي إلى تأليف قلوبهم نحو الإسلام ثم دفعهم إلى الدخول فيه، وهذا كله دون الإخلال باستيفاء ما بذمتهم من حقوق مالية.

إن التوزيع العادل لأفراد المجتمع، فضلاً عن أنه ضرورة دينية، يؤدي إلى إشاعة السلم بين أفراد المجتمع، مما يقوي أركانه، وينشر ثقافة التآخي والتآلف بين أفراده، ويبعد التحاسد والبغضاء الناشئة عن انعدام العدل والمساواة، وهذا كله يؤدي بالنتيجة إلى إشاعة السلم الاجتماعي في المجتمع بأسره.

الخاتمة وأهم الاستنتاجات:

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج هي:-

جاء الإسلام الحنيف بمنظومة أخلاقية متكاملة تجسدت في المبادئ السامية التي عمل على بثها في المجتمع؛ ولعل من أهم هذه المبادئ النبيلة التسامح بكل ما يحمله من معان تؤدي إلى النهوض به لأعلى درجات الرقي والكمال المجتمعي، وتشيع روح التآلف والمحبة بين أفراده.

إن حسن الخلق والتعامل الحضاري مع الآخرين قد يحولهم من موقع العداوة والخصومة إلى موقع الولاء والانسجام.

الاختلاف الذي خلق الله عز وجل عليه البشر، ليس مدعاةً للنفور ونشوء

العداوة والبغضاء بينهم، بل إنه أدعى لهم أن يتعايشوا ويتعاونوا مما يساهم في تطوير العلاقات الاجتماعية والإنسانية، وتجاوز الأحقاد والضغائن، وعماد ذلك كله التسامح.

من أهم ما عمل عليه الإمام عليه السلام نشر ثقافة التسامح بين أفراد المجتمع الإسلامي، وتقوية أركان هذا المجتمع بالفضائل النبيلة التي جاء بها الإسلام. وحاول الإمام عليه السلام بث هذه المبادئ في كافة مجالات الحياة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، لشد انتباههم لأهمية التسامح في حياة الفرد والمجتمع، باعتباره ركيزة أساسية تساعد في بنائه وتقارب أفراده.

اهتم الإمام عليه السلام بالفرد وضرورة أن يكون له دور مهم وفعال في المساهمة في بناء المجتمع من خلال تعزيز مكانته، وأن لا يقتصر دوره على الاهتمام بنفسه فحسب، بل حاول عليه السلام أن حمله على أن يمارس دوره تجاه المجتمع والدولة بشكل عام من خلال قيامه بدور رقابي تجاه الحالات السلبية التي يلاحظها ويرصدها فيه.

إن من أهم مظاهر التسامح تكمن في الجانب السياسي، لما له من أهمية كبيرة على المجتمع فكرياً وعقائدياً، وأن معظم الصراعات والخلافات التي تضرب المجتمعات المسلمة تكون منابعها سياسية بحتة؛ فشيوع التسامح بين أفراد المجتمع يؤدي إلى تجاوز مثل هذه الصراعات. وما أحوجنا - في هذا الوقت - إلى أن يسود الصفح والتسامح مجتمعنا بديلاً عن سياسة الصراع الفكري والعقائدي مثلما يأمرنا ديننا الحنيف.

إن شيوع ثقافة التسامح بين أفراد المجتمع بكافة فئاته وطبقاته يؤدي إلى استقراره، وينشر التآلف والتراحم بين أفراده، وهذا كله يؤدي بالتالي إلى ضمان السلم الاجتماعي لذلك المجتمع بأسره.

هوامش البحث

(١) شرح النهج، ج١/ص١٦.
(٢) الفيومي، المصباح المنير، ج١/ص٢٨٨.
(٣) الرازي، مختار الصحاح، ج١/ص١٣١.
(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٢/ص٤٨٩.
(٥) المصدر نفسه والصفحة. والحديث الشريف مقتطع من حديث قدسي طويل ونص ما يهم البحث منه كالتالي: "انظروا في النار هل تلقون من أحد عمل خيرا قط؟ فيجدون في النار رجلا، فيقول له: هل عملت خيرا قط؟ فيقول: لا، غير أني كنت أسامح الناس في البيع فيقول الله: أسمحوا لعبدي كإسماحه إلى عبيدي". ينظر: ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج١٤/ص٣٩٥؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٢/ص ٣٩٨.
(٦) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٣/ص٢١٧؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٦/ص٤٨٤.
(٧) ورد نص الحديث كالآتي: (السماح رباح والعسر شؤم). ينظر: ابن سلامة، مسند الشهاب، ج١/ص٤٨؛ العجلوني، كشف الخفاء، ج١/ص٤٥٦؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٢/ص٣٩٨.
(٨) ابن منظور، لسان العرب، ج٢/ص٤٨٩؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٦/ص٤٨٤.
(٩) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٣/ص٢١٧.
(١٠) ينظر: البخاري الصحيح، ج٣/ص٩؛ العيني،عمدة القاري، ج١١/ص١٨٨.
(١١) ينظر: محمد قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص٢٤٩ وص٤٢٥.
(١٢) أحميدة النيفر، منابع التسامح واللاتسامح، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، ص ١٤. مجلة قضايا إسلامية معاصرة، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، العدد ٢٨ - ٢٩، ٢٠٠٤.
(١٣) علاء كاظم مسعود، مفهوم التسامح في الفلسفة الحديثة، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة بغداد، ص٣.
(١٤) محمد محفوظ، في معنى التسامح، بحث منشور ضمن كتاب (التسامح واللاتسامح)، ص ١٨٥.
(١٥) البقرة: آية ١٠٩؛ المائدة: آية ١٣؛ الحجر: آية ٨٥؛ النور: آية ٢٢؛ الزخرف: آية ٥ وغيرها.
(١٦) البقرة: الآيات ٥٢، ١٠٩، ٢١٩، ٢٣٧؛ النساء: الآيات ٩٩، ١٤٩، ١٥٣؛ المائدة: آية ١٥ وغيرها.
(١٧) النساء: آية ٦٢؛ النحل: آية ٩٠؛ الرحمن: آية ٦٠؛ المائدة: ٩٣ وغيرها.
(١٨) البقرة: آية ١٩٥؛ آل عمران: آية ١٧٢؛ النساء: آية ٨٦ وغيرها.
(١٩) النحل: آية ١٢٥.
(٢٠) الواقدي، المغازي، ج٢/ص١٠٧٩.
(٢١) الغرباوي، التسامح ومنابع اللاتسامح، ص ١٦٤.
(٢٢) عبد السلام بغدادي، السلم الوطني، ص٣٢-٣٨.

(٢٣) فصلت: آية ٣٤.
(٢٤) البقرة: آية ٨٣.
(٢٥) الحشر: آية ٩.
(٢٦) النحل: آية ٩٠.
(٢٧) الحجرات: آية ١٣.
(٢٨) محمود حمدي زقزوق، التسامح في الإسلام، مجلة حراء، العدد الثالث/ السنة الأولى/ابريل ٢٠٠٦.
(٢٩) كارل بوبر: كارل ريموند بوبر، ولد سنة ١٩٠٢ في النمسا متخصص في فلسفة العلوم .عمل مدرسا في كلية لندن للاقتصاد،يعد أحد أهم واغزر المؤلفين في فلسفة العلم في القرن العشرين، كتب بشكل موسع عن الفلسفة الاجتماعية والسياسية. مات سنة ١٩٩٦ في لندن.
(٣٠) نقلاً عن: صالح الحسن، اب اللاعنف، ص١٨١.
(٣١) نهج البلاغة، ج١/ص١٨١-١٨٢.
(٣٢) الطبري، تاريخ، ج٤/ص٤٤٦.
(٣٣) اليعقوبي، ج٢/ص١٧٩-١٨٠. الطبري، ج٣/ص٤٥١-٤٥٢؛ ابن الاثير، ج٣/ص١٩٦.
(٣٤) اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١٦٥.
(٣٥) اليعقوبي،ج٢/ص١٧٣؛ الطبري، ج٣/ص٣٩٣.
(٣٦) ينظر: ابن شبة، تاريخ المدينة، ج٤/ص١١٥٥؛ الطبري، تاريخ، ج٣/ص٣٨٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ص٤٧٩.
(٣٧) نهج البلاغة، ج٢/ص٨٠.
(٣٨) المصدر نفسه، ج٢/ص٨١.
(٣٩) نهج البلاغة، ج٢/ص١٨٤ - ١٨٥.
(٤٠) نهج البلاغة، ج٢١٨٦-١٨٧.
(٤١) الكوفي، مناقب الإمام (ع)، ج٢/ص٣٤١؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج٨/ ص١٨٤.
(٤٢) الحميري، قرب الإسناد، ص٩٤؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٥/ص٨٣.
(٤٣) ابن أبي شيبة، المصنف، ج٨/ص٧٠٧؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج١/ص٣٩٩؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج١١/ص٣٣٥.
(٤٤) المستصفى، ص٢٩٧.
(٤٥) نهج البلاغة، ج٢/ص١٨٥ - ١٨٦.
(٤٦) الطوامح: من طمح بعينه: إذا رمى ببصره إلى شيء. هبابها: هبت الريح تهب هبوبا وهبيبا: ثارت وهاجت، والهبة بالكسر أيضا: هياج الفحل. ابن منظور، لسان العرب، ج١/ص٧٧٨؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٤/ص١٤٤
(٤٧) نهج البلاغة، ج٤/ص٩٨.

(٤٨) ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص١٥٣؛ الطبري، تاريخ، ج٣/ص١٠٩.

(٤٩) نهج البلاغة، ج٢/ص٦-٧.

(٥٠) المصدر نفسه، ج٢/ص٧.

(٥١) نهج البلاغة، ج٢/ص١٨٥.

(٥٢) عبدالله بن زمعة: هو عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي. كان جده الأسود من المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وآله أما أبوه زمعة فقتل يوم بدر كافرا، وكان يدعى زاد الركب، يعد في أهل الحجاز، له صحبة، وكان يعد من أصحاب الإمام عليه السلام. قتل عبد الله بن زمعة يوم الحرة سنة ٦٣هـ. ينظر: ابن حبان، الثقات،ج٣/ص٢١٧؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٣/ص١٠.

(٥٣) نهج البلاغة، ج٢/ص٢٢٦.

(٥٤) اعتامك: العيمة: خيار المال، واعتان الرجل الشيء، إذا اخذ عينه وخياره. ينظر: الجوهري، الصحاح، ج٦/ص٢١٧٢.

(٥٥) نهج البلاغة، ج٣/ص٦٨.

(٥٦) نهج البلاغة، ج٣/ص١٩.

(٥٧) المصدر نفسه، ج٣/ص٢٠.

(٥٨) المصدر نفسه، ج٣/ص٨٠-٨١.

(٥٩) هو أبو عمر عبد الملك بن عمير اللخمي، حليف لبني عدي بن كعب من قريش، ولد سنة ٣٣هـ، من التابعين الموثقين في الحديث، تولى القضاء بالكوفة قبل الشعبي وكان يلقب بالقبطي. مات بالكوفة سنة ١٣٦هـ وقد تجاوز المئة وثلاث سنين. ينظر: البخاري، التاريخ الكبير، ج٥/ص٤٢٦؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ص٣١٥

(٦٠) بزرج سابور: هي معرب عن وزرك شافور وهي الاسم السرياني لعكبرا، وهي اسم بليدة قرب بغداد، تعد من نواحي الدجيل، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٤/ص١٤٢.

(٦١) البيهقي، السنن الكبرى، ج٩/ص٢٠٥؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج٤/ص٥٠١.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المصادر الأولية

- المبارك ابن الأثير، المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٠٦هـ)،

١- النهاية في غريب الحديث، تحقيق:طاهر احمد الزاوي ومحمود الطناحي، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر، (قم ١٣٦٤ش).

- أحمد بن حنبل، أبو عبدالله احمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)،

٢- المسند، دار صادر، (بيروت د.ت).

- البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦هـ)،

٣- صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت ١٩٨١).

- البيهقي، أبو بكر احمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ)،

٤- السنن الكبرى، دار الفكر، (بيروت. د.ت).

- الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ)،

٥- تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق:احمد عبد الغفور العطار، ط٢، دار العلم للملايين، (بيروت ١٩٨٧).

- ابن حبان، محمد بن حبان بن احمد البستي (ت ٣٥٤)،

٦- الثقات، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، ط١ (الهند ١٩٧٣).

٧- الصحيح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، (بيروت ١٩٩٣).

- ابن أبي الحديد، أبو حامد بن هبة الله المدائني (ت٦٥٦هـ)،

٨- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية.

- الحميري، عبدالله بن جعفر (ت ٣٠٠هـ)،

٩- قرب الإسناد، ط١، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (قم ١٤١٣هـ).

- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)،

١٠- السنن، تحقيق: سعيد محمد اللحام، ط٢، دار الفكر للطباعة، بيروت ١٩٩٠.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)،

١١- سير أعلام النبلاء، تحقيق: حسين الأسد، ط٩، مؤسسة الرسالة، (بيروت ١٩٩٣)

- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٧٢١هـ)،

١٢- مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون.د.ت.

- ابن سلامة، أبو عبدالله محمد بن سلامة القضاعي (ت ٤٥٤هـ،

١٣- مسند الشهاب، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط١، (بيروت ١٩٨٥).

- ابن سيده، علي بن إسماعيل المرسي الأندلسي (ت ٤٥٨هـ)،

١٤- المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية، (بيروت ٢٠٠٠).

- ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النميري (ت٢٦٢هـ)،

١٥- تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دار الفكر، (قم ١٤١٠هـ).

- ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد العبسي الكوفي (ت ٢٣٥هـ)،

١٦- المصنف، تحقيق وتعليق: سعيد اللحام، ط١، دار الفكر للطباعة، (بيروت ١٩٨٩).

- الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)،

١٧- من لا يحضره الفقيه، تحقيق: محمد جواد الفقيه، ط٢، دار الأضواء، بيروت ١٩٩٢.

- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ)،

١٨- المصنف، تحقيق: عبد الرحمن الاعظمي، ط٢، دار الفكر للطباعة، (بيروت.د.ت)

- الطبراني، سليمان بن احمد بن أيوب (ت٣٦٠هـ)،

١٩- المعجم الأوسط، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، (مكة المكرمة ١٩٩٥).

٢٠- المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، (بيروت د.ت).

- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)،

٢١- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق ومراجعة: نخبة من العلماء، ط٤، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت ١٩٨٣).

- ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله النمري (ت٤٦٣هـ)،

٢٢- التمهيد، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد عبد الكبير، وزارة العموم والشؤون الإسلامية، (المغرب ١٣٨٧هـ).

- العيني، بدر الدين محمود بن احمد (ت٨٥٥هـ)،

٢٣- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، (بيروت د.ت).

- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥هـ)،

٢٤- المستصفى، تحقيق: محمد عبد الشافي،ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت ١٤١٣هـ).

- الفيومي، احمد بن محمد بن علي المقري (ت ٧٧٠هـ)،

٢٥- المصباح المنير،ط٢، المكتبة العلمية، (بيروت د.ت).

- القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد التميمي المغربي (ت ٣٦٣هـ)،

٢٦- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق: السيد محمد الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (قم ١٤١٤هـ).

- القرطبي، محمد بن احمد الأنصاري (ت٦٧١هـ)،

٢٧- تفسير القرطبي، تحقيق وتصحيح: أحمد عبد العليم البردوني ط٢، دار إحياء التراث العربي، (بيروت ١٩٨٥).

- الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)،

٢٨- فروع الكافي، تحقيق: محمد جواد الفقيه ويوسف البقاعي، ط٣،دار الأضواء، (بيروت ١٩٩٢).

- الكوفي، محمد بن سليمان (ت حوالي ٣٠٠هـ)،

٢٩- مناقب الإمام الإمام، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط١، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، (قم ١٤١٢هـ).

- ابن ماجه، محمد بن يزيد (ت ٢٧٥هـ)،

٣٠- السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط٢، دار الفكر للطباعة، (بيروت د.ت).

- المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين (ت٩٧٥هـ)،

٣١- كنز العمال تحقيق: الشيخ بكري حياني، مؤسسة الرسالة، (بيروت ١٩٨٩).

- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ)،

٣٢- الصحيح، دار الفكر، (بيروت د.ت).

- ابن منظور، أبو الفضل بن مكرم (ت٧١١هـ)،

٣٣- لسان العرب، نشر أدب الحوزة، (قم ١٤٠٥هـ).

- اليعقوبي، احمد بن اسحق بن جعفر (ت٢٩٢هـ)،

٣٦- تاريخ، دار صادر، (بيروت د.ت).

ثانياً: المراجع

- الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)،

٣٧- وسائل الشيعة، ط٢، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، (قم ١٤١٤هـ).

- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت١٢٠٥هـ)،

٣٨- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق:محمد شيري، دار الفكر، (بيروت ١٩٩٤).

- عبد السلام بغدادي،

٣٩- السلم الوطني، سلسلة عالم الحكمة، بيت الحكمة، (بغداد ٢٠١٢).

- العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي (ت ١١٦٢هـ)،

٤٠- كشف الخفاء، دار الكتب العلمية، (بيروت ١٩٨٨).

- الغرباوي،

٤١- التسامح ومنابع اللاتسامح، مطبعة سرور، مركز دراسات فلسفة الدين، ط١، (بغداد ٢٠٠٦).

- قلعجي، محمد رواس،

٤٢- معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر، (بيروت ١٩٨٨).

- المحمودي، محمد باقر،

٤٣- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت د.ت).

ثالثاً: المجلات والدوريات

- أحميدة النيفر،

٤٤- منابع التسامح واللاتسامح، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، مركز دراسات فلسفة الدين، العدد ٢٨ ـ ٢٩، (بغداد ٢٠٠٤).

- محمود حمدي زقزوق،

٤٥- التسامح في الإسلام، مجلة حراء، العدد الثالث-السنة الأولى، (مصر ٢٠٠٦).

- محمد محفوظ،

٤٦- في معنى التسامح، بحث منشور ضمن كتاب (التسامح واللاتسامح)، (بغداد ١٩٩٨).

رابعاً: الرسائل والاطاريح

- علاء كاظم مسعود،

٤٧- مفهوم التسامح في الفلسفة الحديثة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة بغداد، ٢٠٠٨.